مجلس السيرة الأسبوعي يقيم محاضرته الأسبوعية بعنوان:

سلامٌ على كفِّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم

رصد وتصوير: حمدي عبد الرحيم عبد القادر

استضاف مجلس السيرة الأسبوعي فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله الزبير عبد الرحمن في محاضرة علمية وصفها الحاضرون بأنها قيمة من حيث المعنى والمبنى وقد ابتدر فضيلته المحاضرة بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم موضحًا أنه قد اختار هذا الموضع في ذكرى مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم بعد أن رأى أن الناس يحتفلون بمولد النبي صلى الله عليه وسلم مختصرين ذلك على تعظيم رسالته دون ذاته منبهًا إلى أنه بالتدبر والتفكر يجد المرء أن دعوة الله عز وجل لتعظيم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم مقرونة بتعظيم ذاته والدليل على ذلك أمر المولى عز وجل بالصلاة والسلام عليه وتعزيره ونصرته وتوقيره مبينًا أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أفضل الخلق بلا شقاق وخير البشر على الإطلاق كما أجمعت الأمة على ذلك ولكن هنالك من شذ وخالف وشق هذا الإجماع وهو الإمام الزمخشرى رحمة الله عليه حينما قال (وناهيك بهذا دليلاً على جلالة مكانة جبريل ومباينة منزلته لمنزلة أفضل الإنس محمد إذا وازنت بين الذكرين وقايست بين قوله: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ التكوير: ١٩-٢٠، وبين قوله: وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ . وفي هذا القول يبين أن جبريل أفضل الخلق ولكنه أخطأ وحاد عن الحق وشق إجماع الأمة في أن النبي أفضل الخلق وقد ساق فضيلته عدة أدلة مفندة هذا الزعم منها أنه لو بنيت الأفضلية لسيدنا جبريل عليه السلام لأنه علم النبي لكن الغراب أفضل من ابن سيدنا آدم عليه السلام لأنه علمه كيف يواري سوأة أخيه ولكان الهدهد أفضل من سيدنا سليمان لقوله (أحط بما لم تحط به) فالنبي صلى الله عليه وسلم هو الممدوح المزكى ،شخصه ممدوح ودينه محمود زكاه ربه في كل شيء في أعضائه زكاه في لسانه وزكاه في صدره وزكاه في عقله وزكاه في بصره وزكاه في أذنه وزكاه في فؤاده وزكاه في قلبه، فزكاه في لسانه فقال(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى× إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» النجم) وزكاه في صدره فقال (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) وزكاه في عقله فقال (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) وزكاه في بصره فقال (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى) وزكاه في فؤاده فقال (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)
وزكاه في قلبه فقال(وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)
وزكاه في عمره فقال (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون)
وزكاه في ذكره فقال (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)
وزكاه في صفته فقال(بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)
وزكاه في أحاسيسه ومشاعره فقال(عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)ثم يأتي بعد الزمخشري ليقول إن جبريل منزلته أعلى من منزلة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه تاب ورجع وعلم أنه قد أخطأ في حق النبي صلى الله عليه وسلم فأراد أن يستغفر الله عز وجل ويطلب التوبة فقدم لطلب التوبة ثناء عظيمًا لله عز وجل يتوسل بذلك عند الله ليتوب عليه فصار يقول:

يا من يرى مد البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها في نحرها
والمخ من تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم في أوداجها
متنقلاً من مفصل في مفصل
ويرى وصول غذاء الجنين ببطنها
في ظلمة الأحشاء بغير تمقل
ويرى مكان الوطء من أقدامها
في سيرها وحثيثها المستعجل
ويرى ويسمع حس ما هو دونها
في قاع بحر مظلم متهول
امنن علي بتوبة تمحو بها
ما كان مني في الزمان الأول

ثم تناول فضيلته وصف كف النبي عليه السلام خَلقًا وخُلقًا مبينًا أن النبي صلى الله عليه وسلم أجمل الخلق كفا يقول سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ ، شَثْنَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ ، ضَخْمَ الرَّأْسِ ضَخْمَ الْكَرَادِيسِ ، طَوِيلَ الْمَسْرُبَةِ إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّؤًا كَأَنَّمَا انْحَطَّ مِنْ صَبَبٍ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ)«وشثن الكفين أي غليظ الأصابع ممتلئ الأنامل هذا من جهة العظم واللحم أما من جهة الملمس فقال أنس بن مالك (ما لمست حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كان عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه مثل اللؤلؤ أطيب ريحًا من المسك وكأن كفه كف عطار مسها طيب أو لم يمسها، يصافحه المصافح فيظل يومها يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان من ريحها على رأسه. أما وصف كف النبي صلى الله عليه وسلم خُلقًا فهي كَفٌّ كَفَّ عن الإثم والأذى تقول أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها: (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا قط بيده، لا امرأةً ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله. وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه. إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل) وأما ما جاء في حادثة سواد بن غزية كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قدح يعدل به القوم ، فمر بسواد بن غزية ، حليف بني عدي بن النجار فطعن في بطنه بالقدح ، وقال : استو يا سواد فقال : يا رسول الله ، أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل ، قال : فأقدرني . فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، وقال : استقد ، قال : فاعتنقه فقبل بطنه : فقال : ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال : يا رسول الله ، حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير .وتقول أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ « . وَقَالَتْ مَرَّةً أُخْرَى : « مَا صَافَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةً قَطُّ «وهذا دليل على أن مس المرأة إثم وبعضهم قال هذا من الصغائر وقد تناول فضيلته بالشرح المفصل حكم مصافحة النساء وقد ذكر فضيلته أن هذه الكف الشريفة عظمها أئمة هذا الدين من الصحابة والتابعين كما فى رواية أبي محزورة عندما مسح النبي صلى الله عليه وسلم على رأسه فكان لا يحلق مكان مسح النبي صلى الله عليه وسلم حتى في الحج والعمرة وروي أن أنسًا بن مالك سأله تلاميذه هل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال نعم .وحكى أنه دفع بتفاحة لأبي العارية من التابعين فمسك التفاحة في يده فجعل يمسحها ويقبلها ويمسح بها جسده ويقول تفاحة مست كفًا مس كف النبي صلى الله عليه وسلم قال سيدنا أبو ذر لا أذكر عثمان إلا بخير بعد شيء رأيته كنت رجلاً أتبع خلوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيته يومًا جالسًا وحده فاغتنمت خلوته فجئت حتى جلست إليه فجاء أبو بكر فسلم عليه، ثم جلس عن يمين رسول الله ، ثم جاء عمر فسلم وجلس عن يمين أبي بكر، ثم جاء عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات – أو قال: تسع حصيات – فأخذهن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم أخذهن فوضعهن في كف أبي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذه خلافة النبوة ومن معجزات كف النبي صلى الله عليه وسلم ما روي عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ – رضي الله عنهما – قَالَ لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَمَصًا شَدِيدًا ، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شيء فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم خَمَصًا شَدِيدًا فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فيه صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي، وَقَطَّعْتُهَا في بُرْمَتِهَا ، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ لَا تَفْضَحْنِي عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَمَنْ مَعَهُ فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا ، فَتَعَالَ أَنْتَ، وَنَفَرٌ مَعَكَ . فَصَاحَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا فَحَيَّ أَهْلاً بِكُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ ، وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ . فَجِئْتُ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي ، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ . فَقُلْتُ قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ . فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا ، فَبَصَقَ فيه وَبَارَكَ ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا، فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ، وَلَا تُنْزِلُوهَا، وَهُمْ أَلْفٌ ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ، وَانْحَرَفُوا ، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُو أما ما رويَعن قتَادة بن النعمان :
أنه أصيبت عينه يوم بدر ، فسالت على حدقته ، فأراد القوم قطعها ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشيره في ذلك ، فرفع حدقته حتى وضعها موضعها ، ثم غمزها براحته وقال : (اللهم ، أكسه جمالاً) فمات وما يدري من لقيه أي عينيه أصيبت وكما روي أيضًا. عن حيان بن عمير ، قال :
مسح النبي صلى الله عليه وسلم وجه قتادة بن ملحان ، ثم كبُر فبلى منه كل شيء غير وجهه .
فحضرته عند الوفاة ، فمرت امرأة ، فرأيتها في وجهه ، كما أراها في المرآة .
وقد ختم فضيلتة المحاضرة بأبيات من الشعر مدحًا للنبي صلى الله عليه وسلم وفي تعقيب للأستاذ الدكتور معاوية أحمد سيد أحمد وكيل الجامعة دعا الحاضرين إلى التبشير بما ذكره فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله الزبير.